البطولة النّفسية والشّمائل الإنسانيّة
في شعر حاتم الطّائي

د. يونس إبراهيم موسى أبو مصطفى – أستاذ مشارك بكليّة التّربية – جامعة بنغازي

البطولة النّفسية والشّمائل الإنسانيّة
في شعر حاتم الطّائي

ملخص البحث :

ضرب حاتم مثلاً صادقاً في البطولة النّفسية والشّمائل الإنسانيّة، ورسم لوحات واقعية تُعد دروساً في التّربية والأخلاق، و خلّد بانتصاراته النّفسية أسّساً تربويّة خُلقيّة خالدة

لذا تأتي هذه الدّراسة ليلقي الضوء على هذه الشّمائل الإنسانية عنده، فقد كان بطلاً في الكرم، والعفّة، والوفاء والصُفح، والصّدق.

كما تهدف إلى التّعرف على الأسباب الّتي أثّرت في سلوكه وجعلت منه بطلاً خُلقياً لا يُشقّ له غبار.

تعتمد الدّراسة على المنهج الوصفي لمعالجة هذه القضية للوصول إلى أهم النّتائج.

يتكون البحث من تمهيد، وثلاثة فصول، يسلط التّمهيد الضّوء على البطولة النّفسيّة.

ويتعرّف الفصل الأوّل على عقيدة حاتم، وأثرها في هذه البطولة.

وتناول الفصل الثّاني الكرم بصفته من أهم ملامح هذه البطولة عند حاتم.

أما الفصل الأخير فيتطرّق إلى العفّة، وبطولات نفسيّة متفرّقة.

The summary :

Hatem is an assent example of psychological Tournament and The human merits, drawing realistic paintings that teach lessons in education and Moral, and he immortalized in his psychological victories as eternal educational foundations of Moral.

This study is an attempt to shed a light on these human qualities, He was a hero in generosity, chastity, Fulfillment, forgiveness and honesty.

It also aims to identify the causes that have influenced his behavior and made him a hero do not crack his dust.

The methodology of the study is a descriptive analytical one. This research is divided into three chapters preceded by an introduction. The Introduction to shed a light on briefly psychological Tournament

Chapter one discusses Hatem's doctrine and its impact on this tournament.

The second chapter look at generosity as one of the most important features of this tournament at Hatem

The last chapter deals with chastity and anther psychological tournaments.

المقدّمة :

الحمد لله الّذي أمر بالعفو، والعُرف، والإعراض عن الجاهلين، والصّلاة والسّلام على أشرف المرسلين الّذي بُعث ليتمّ مكارم الأخلاق، وبعد .

سبب الاختيار: سما حاتم الطّائي إلى راية البطولة واحتواها، كان جواداً يشبه شعره جوده، ويصدق قوله فعله، كان حيث نزل عُرف منزله، مظفّراً، إذا قاتل غلب، وإذا غنم أنهب، وإذا سُئل وهب، تفاعلت بطولته الحربيّة والنّفسيّة في بوتقة مكارم الأخلاق، أدّى الأمانة، وقام بواجبه سيّداً مطاعاً بصورة مثاليّة مشرّفة، بطلاً في المروءة ومكارم الأخلاق، خلّد بانتصاراته النّفسية أسّساً تربوية خُلقية تشهد له بقوّةٍ على مرّ الأيام والعصور .

الهدف من الدّراسة : تهدف هذه الدّراسة إلى رصد البطولة النّفسيّة والشّمائل الإنسانيّة عند حاتم، وكشف الجانب النّفسي عنده من خلال الوقوف على دوافعه الّتي شكّلت سلوكه .

الدّراسات السّابقة : لم يتناول أحد من الدّارسين هذا الموضوع بشكل مباشر، وإنّما هي مقتطفات في مراجع عدّة ، منها : مقدمة ديوان شعر حاتم ،دراسة وتحقيق د. عادل سليمان جمال، ومقدّمة ديوان حاتم للدّكتور مفيد محمّد قميحة .

الخطة : يتناول البحث تمهيداً، وثلاثة فصول، يسبقها مقدّمة، ويليها خاتمة، وثبت للمصادر والمراجع.

ألقى **التّمهيد** الضّوء على البطولة النّفسية، وتناول **الفصل الأوّل** عقيدة حاتم، وأثرها في هذه البطولة، وكان **الفصل الثّاني** عن الكرم بصفته ملمحاً من ملامح البطولة النّفسية ، والشّمائل الإنسانية ، أمّا **الفصل الأخير** فقد تطرّق إلى العفّة وبطولات نفسّية متفرّقة ، ورصدت **الخاتمة** أهم النّتائج الّتي توصّل إليها البحث.

أهم المصادر والمراجع التي اعتمد عليها البحث: أفاد البحث من مصادر ومراجع، لعلّ أهمها ديوان حاتم الطّائي.

الصّعوبات الّتي واجهت البحث : واجهت البحث صعوبات عدّة أهمها الاعتماد على الكتب الإلكترونية.

منهجية البحث : اعتمد البحث على المنهج الوصفي .

نسأل الله التّوفيق، والجودة وحسن الأداء، وما توفيقي إلا بالله عليه توكّلت وإليه أنيب.

التّمهيد :

مجّد الشّعراء البطولة الجديدة، وخلّدوا ذكرها، حتّى تلقّفتها أفئدة النّاس ودعموا ما فيها من شمائل تُحتذى، وخبرة تحتاج إلى وقفات دراسيّة وضعت دعائم للتّربيّة والسّلوك.

معلوم أنّ البطولة العضليّة معروفة، والبطولة النّفسيّة خفيّة، يصعب سبر غورها ليُعرف مكوناتها ودوافعها ووسائل ظهورها، وإلى ما تتحقّق من نتائج، وقد يزداد الأمر تعقيداً عند التّعرّف على مكوّنات البطولة النّفسيّة لإنسان عصر ما قبل الإسلام، الّذي لم يصلنا عنه غير إنتاجه النّظمي، إذ لا نستطيع التّحدّث إليه لنخضع للمقاييس النّفسيّة، أو يُجرى عليه تجارب العلماء حتّى ندرك دوافعه الّتي تشكّل سلوكه، ونقرأ في وجهه علامات الانفعال أو الرّضا لنشرح إنتاجه النّظمي وفق العلاقة والارتباط وبين داخله[1].

ومع ذلك يمكن التّعرف من خلال إنتاجه النّظمي الّذي ينطق بأحاسيسه وانفعالاته، وبطولاته وجولاته، وأخلاقه وسماته، نتعرّف على ذلك من خلال صوره الكلّيّة والجزئيّة، وموسيقاه الدّاخليّة والخارجيّة ومن ثنايا عواطفه الجيّاشة .

إنّ غاية ما يرجوه الباحث من عنصر النّفسيّة رسم الصّورة الخُلقيّة الّتي تعجب النّاس ويقتدون بها، فالبطولة هي مكونات الرّجولة الحقّة للخلق الكريم من: صبر، وعفّة، وكرم، ونجدة، وشجاعة، ووفاء، وكلّها من الدّوافع الاجتماعيّة الّتي تحضّ الفرد على السّلوك؛ ليشعر بالأمن والأمان مع الجماعة لتحقيق البطولة المرغوبة، ويعني الأمن التّحرّر من الخوف، ويكون الإنسان في حالة أمن متى كان مطمئناً في حياته ويعمل على اكتساب رضا النّاس وحبّهم واهتمامهم ومساندتهم العاطفيّة [2].

ومتى تحقّق الشّعور بالأمن بدأت العوامل الإنسانيّة الدّاخليّة في التّحرك والتّفاعل لتوائم حاجات الفرد وسلوك الأفراد، ومن هنا نسج الشّعراء نظماً يهدي البشريّة، وعبّروا عمّا يحسّونه تجاه بناء مجتمع صالح حتّى يكونوا موضع قبول وتقدير واحترام من الآخرين، وأن يكونوا بمنأى عن استهجان المجتمع أو نبذه، وهي حاجة رضاها الشّعور بأنّ لهم قيمة اجتماعية، وأنّ وجودهم وجهدهم لازمان لوجود الآخرين، ومن هنا كان اندفاعهم للتّعبير عن الذّات والإفصاح عن الشّخصيّة وتوكيدها بأن يحقّقوا ما لديهم من إمكانات نافعة وذات قيمة للآخرين [3] .

ومن ثمّ تتحقّق البطولة النّفسيّة الّتي تحقّق الصّداقة بين الشّاعر وغيره ممن يعملون بنظمه ويتبعونه في آرائه، فعاطفة الصّداقة تنشأ وتتكوّن تدريجيّاً نحو شخص يفتح صدره لك ويقاسمك متاعبك، ويساعدك في الشّدّة وعند العثار، ويحتمل أخطاءك، ويدافع عنك في غيابك، ويحول بينك وبين السّخط على النّاس، يشاركك في مسراتك فيضاعفها وفي أحزانك فيخفضها، ويعطيك من تجاربه ما يفيد مما يزيدك شعوراً بالأمن والاحترام [4]، وذلك ما حرص عليه شعراء عصر ما قبل الإسلام أن يضعوا لبناته الأولى لكلّ المجتمع الإنساني، ومنهم حاتم الطّائي الّذي ضُرب به المثل في الكرم، بل في حسن الخُلق .

كان حاتم كريماً، أي شريفاً، محباً لمكارم الأخلاق، شجاعاً مقداماً، بطلاً نفسيّاً، "كان جواداً يشبه شعره جوده، ويصدق قوله فعله، وكان حيثما نزل عرف منزله، وكان مظفّراً، إذا قاتل غلب، وإذا غنم أنهب، وإذا سُئل وهب، وإذا ضرب بالقداح فاز، وإذا سابق سبق، وإذا أسر أطلق، وكان يقسم بالله ألا يقتل واحد أمّه " [5].

شاعرنا يجمع بين ثنائيّة البطولة التّقليديّة، والبطولة الجديدة [البطولة النّفسيّة] .

لسنا بصدد سرد صولاته وجولاته، واستعراض بطولاته وانتصاراته، حديثنا عن بطولته النّفسيّة، بطولة سيد كريم، استحق السّيادة في مجتمع مجّد السّادة الكرماء .

تمثلت بطولته النّفسيّة في قيم خلقيّة آمن بها وتأصّلت في نفسه، وأصبحت عنده طبعاً وسجيّة كغيره من العرب في عصر ما قبل الإسلام، منها : كرمه، وعفّته، وصبره، وعدله ... إلخ .

الفصل الأوّل

عقيدته وأثرها في سلوكه ونفسيته

كان العرب قبل الإسلام على دين واحد، هو دين إبراهيم عليه السلام، دين الحنفيّة، ودين التّوحيد الّذي تجسّد بالإسلام، إنّما ضلوا السّبيل فعبدوا الأصنام والأوثان، لقد عُرّف هذا العهد بالعهد الوثني، فقد عبد كثير منهم الأصنام والأوثان، وكان يحي بن حارثة بن عمرو بن عامر الأزدي أوّل من غيّر دين إسماعيل عليه السلام فنصب الأوثان [6] غير أنّ بعض العرب سخر من الأصنام واستهزأ بها[7].

ولم يوحّد العرب الله بمعرفة حقّه، إلا جعلوا معه شريكاً من خلقه، قال تعالى : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾ سورة يوسف، آية 106، ولم يكن شركهم إشراكاً في وحدانية الله، فقد آمنوا بالله الواحد القوي الخالق الّذي بيده الأمر، وكان اتّخاذهم الأصنام على أنّها وسائط وشفاعات تقرّبهم إلى الله ﷻ، قال تعالى : ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ سورة الزمر، آية : 3، وقال تعالى في صفة الجاهليين الّذين يتقرّبون إليه بأصنامهم : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ ﴾ سورة يونس، آية 18، ويمدّنا القرآن الكريم على أنّ العرب في هذا العصر كانوا يؤمنون بالتّوحيد، فقد كشفت الآيات عن إيمانهم بالله الخالق الواحد الأحد، الّذي بيده ملكوت كل شيء، قال تعالى : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ سورة لقمان، آية : 25، و﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ سورة الزخرف، آية 37 .

تؤكّد هذه الآيات أنّ التّوحيد كان أصل الدّين في مكّة بخاصّة، غير أنّ عبدة الأصنام ابتدعوا الدّين الوثني، وتعدّد الآلهة، وعليه فإنّ العرب في هذا العصر موحّدون بطبعهم، وأنّ جوهر ديانتهم التّوحيد[8].

وقد عبّر شعراء ذلك العصر عن ذلك، إذ أقسم النّابغة الذّبياني بالله الّذي ليس وراءه شيء ولا أكبر منه يقول :

حَلَفتُ فَلَم أَترُك لِنَفسِكَ رِيبَةً وَلَيسَ وَراءَ اللَهِ لِلمَرءِ مَذهَبُ [9]

وقد ذكر د. يحي الجبوري دلائل كثيرة واضحة صريحة في الشّعر الجاهلي تؤكّد إيمان الجاهليين بالله وتوحيده والقسم به، وأنه خالق الخلق وواهب النعم [10] .

ومع ذلك قدّسوا الأوثان والأصنام، فقد كانوا يعتقدون بعبادتهم الأصنام عبادة الله والتّقرّب إليه لكن بطرائق مختلفة، منهم من قال :" ليس لنا أهليّة لعبادة الله بلا واسطة لعظمته فعبدناها [أي الأصنام] لتقرّبنا إليه تعالى "[11]، ومنهم من يقول : " جعلنا الأصنام قبلة لنا في عبادة الله تعالى، كما أنّ الكعبة قبلة في عبادته "[12] .

لما بعث الله ﷻ نبيّه ﷺ وأتى العرب لتوحيد الله وعبادته وحده لا شريك له، قالوا : ﴿ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾ سورة ص، آية : 5، يعنون الأصنام [13] .

وقد ترفّع بعض العرب في عبادة الأصنام والأوثان، وكانوا يتطلّعون إلى دين التّوحيد، دين إبراهيم عليه السلام على أنّه الدّين المبرأ من الشّرك، وقد عُرفت تلك الفئة بالأحناف، ودينهم بالحنفيّة، وكانوا قد اعتزلوا الأوثان وحرّموا الميتة والدّم والذّبائح الّتي تُذبح على النّصب لغير الله [14] .

ولم تكن الحنفية امتداداً أو تقليداً لليهودية أو النّصرانية، بل لم تكن بين الدّيانتين، والحنفية صلة أو وشيجة، ولم يكن إبراهيم عليه السلام من اليهود أو النّصارى، قال تعالى : ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا ﴾، أي " متحنّفاً عن الشّرك قاصداً إلى الإيمان " [15].

وذكر في تفسير الجلالين : " أي مائلاً عن الأوثان كلّها إلى الدّين القيم ومسلماً موحّداً " [16]، والحنيف " الصّحيح الميل إلى الإسلام الثّابت عليه، وكلّ من حجّ ، أو كان على دين إبراهيم عليه السلام، وتحنّف " اعتزل عبادة الأصنام " [17]، والحنيف هو المسلم، قال تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً ﴾ سورة النّحل ، الآية : 123 ، وقال رسول الله ﷺ : " بُعثت بالحنفية السّمحة " [18]، وقال : " أحبّ الأديان عند الله الحنفية السّمحة " [19] .

وجاء ذكر الحنفيّة في الشّعر بنفس دلالة المسلم، قال عبد الله بن أنيس :

وقلت له خذها بضربة ماجد حنيف على دين النّبي محمّد [20]

وكذلك في أبيات لأمامة الرّبذيّة، إذ يقول :

تُكَذِّبُ دينَ اللّه والمرء أحمدا لعمري الّذي أمناكَ أن بئسَ ما يُمني

حبـاكَ حنيفَ آخرَ الدّهرِ طعنةً أبا عفَكٍ خُذها على كبرِ السّنِّ [21]

وفي ذلك تأكيد على أنّ الإسلام والحنفية على شرعة واحدة شرعة التّوحيد والإيمان بالله الواحد الأحد، وقد شهد عصر ما قبل الإسلام أدياناً أخرى غير الوثنيّة واليهوديّة والنّصرانيّة، ولم يكن لأتباع هاتين الدّيانتين كبير الأثر في الجاهليّة، إذ لم تستطع أيّة منهما أن تقضي على الوثنيّة .

وثمّة سؤال، هل كان حاتم يهودياً أم نصرانيّاً، أم كان موّحداً بطبعه أي سليم الفطرة، أم كان حنيفاً مسلماً، أم كان وثنياً يعبد الأصنام والأوثان ؟

ذُكر في بعض المصادر أنّه كان نصرانيّاً، عدّه لويس شيخو من شعراء النّصرانيّة [22] .

وذكر د. مفيد قميحة في مقدّمة ديوان حاتم أنّ حاتماً كان على علم بالأديان السّابقة، وربما على صلة ببعضها، فقد قيل إنّه كان نصرانيّاً، وإنّ النّصرانيّة كانت معروفة في قومه [23] .

ذُكر أنّ سفانه ابنة حاتم عندما وقعت في الأسر قالت: " يا محمّد، هلك الوالد، وغاب الوافد؛ فإن رأيت أن تخلّي عنّي، فلا تُشمت بي أحياء العرب؛ فإنّي بنت سيد قومي، كان أبي يفك العاني، ويحمي الذّمار، ويقري الضّيف، ويشبع الجائع، ويفرج عن المكروب، ويطعم الطّعام، ويفشي السّلام، ولم يردّ طالب حاجة قط؛ أنا بنت حاتم طيء.

فقال لها رسول الله ﷺ : يا جارية، هذه صفة المؤمن، لو كان أبوك إسلاميّاً لترحمّنا عليه، خلّوا عنها؛ فإنّ أباها كان يحبّ مكارم الأخلاق، والله يحبّ مكارم الأخلاق " [24] .

وفي رواية أخرى " لو كان أبوك إيمانيّاً ... " [25]، أي يدين ويؤمن بدين سماوي .

وجاء في الحديث الصّحيح أنّهم سألوا رسول الله ﷺ عن عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كلب بن سعد بن تميم بن مُرّة، فقالوا له كان يقري الضّيف، ويعتق ويتصدّق، فهل ينفعه ذلك ؟ فقال : " إنّه لم يقل يوماً من الدّهر: ربّ اغفر لي خطيئتي يوم الدّين " [26] .

كما ذكر ابن كثير أنّه لما بلغ حاتم قول الملتمس :

قليلُ المالِ تُصلحُه فيبقى ولا يبقى الكثيرُ على الفسادِ
وحِفظُ المالِ خير من بُغــاهُ وجَــوْلٌ في البــلادِ بِغَيْـرِ زادِ

قال: ما له قطع الله لسانه حمل النّاس على البخل، فهلا قال:

فلا الجود يفني المال قبل فنائه ولا البخل في مال الشّحيح يزيدُ
فلا تلتمس مالاً بعيش مقتر لك غد رزق يعود جديدُ
ألم ترَ أنّ المــالَ غــادٍ وأنّ الّذي يُعطيــكَ غير بعيـدُ
ورائحُ

قال القاضي أبو الفرج : " لقد أحسن حاتم في قوله : " وأنّ الّذي يُعطيك غير بعيد " ، ولو كان مسلماً لرُجي له الخير في معاده " [27] .

يعني أنّه لا يؤمن بدين سماوي، أي لم يكن يهوديّاً ولا نصرانيّاً، ولم يكن حنيفاً مسلماً، بل ربما كان وثنيّاً مشركاً يعبد الأصنام والأوثان، وإن لم يظهر في ديوانه أنّه كان يفعل ذلك، وهذا يعني أنّه ربما كان سليم الفطرة، موحّداً بطبعه، ثم عبد الأصنام والأوثان، لكنه في ديوانه يقول :

وَذي وَجهَينِ يَلقاني طَليقاً وَلَيسَ إِذا تَغَيَّبَ يَأتَسيني
نَظَــرتُ بِعَينِــهِ فَكَفَفتُ عَنــهُ مُحافَظَةً عَلى حَسَبي وَديني [28]

لا ندري عن أي دين يتحدّث إن صحّ البيت له ؟! لقد أقسم بالله عالم الأسرار ومحيي العظام البيض وهي رميم، في قوله :

أَما وَالَّذي لا يَعلَمُ الغَيبَ غَيرُهُ وَيُحيِّ العِظامَ البيضَ وَهيَ رَميمُ
لَقَد كُنتُ أَطوي البَطنَ وَالزادُ مُخافَةً يَوماً أَن يُقالَ لَئيمُ [29]
يُشتَهى

إن صحت هذه الأبيات له، فهذا يعني أنّه آمن بالبعث والحساب، فالله ﷻ يحيي الخَلق بعد موتهم، وإن كانوا عظاماً، في حين أنكر كثير من العرب في عصر ما قبل الإسلام البعث والنّشور، وإحياء الموتى، قال تعالى : ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ

قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ سورة يس، الآيتان : 78 – 79 ، وقال تعالى: ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ سورة المنافقون، آية : 7 .

وآمن بأنّ الرّزق من عند الرّحمن، فقال :

كُلوا الآنَ مِن رِزقِ الإِلَهِ وَأَيسِروا ... فَإِنَّ عَلى الرَّحمَنِ رِزقَكُمُ غَدا [30]

وقد أكثر من ذكر لفظ الجلالة [الله] في ديوانه [31]، وأقسم ببيت الله قائلاً :

وَدِدتُ وَبَيتِ اللَّهِ لَو أَنَّ أَنفَهُ ... هَواءٌ فَما مَتَّ المِخاطَ عَنِ العَظمِ [32]

وذكر ابن الأعرابي أنّه كان يقسم بالله ألا يقتل واحد أمه [33]، وكان يُعطي ابتغاء وجه الله – إن صحت نسبة الأبيات له – إذ يقول :

فَلَو كانَ ما يُعطي رِياءً لَأَمسَكَت ... بِهِ جَنَباتُ اللَّومِ يَجذِبنَهُ جَذبا

وَلَكِنَّما يَبغي بِهِ اللَّهَ وَحدَهُ ... فَأَعطِ فَقَد أَربَحتَ في البَيعَةِ الكَسبا! [34]

أغلب الظّن أنّ الأبيات منسوبة لحاتم، فهي تتنافى مع قول الرسول ﷺ حين قال عديّ بن حاتم له : إنّ أبي كان يصل الرّحم ويفعل كذا وكذا، فقال له :" إنّ أباك أراد أمراً فأدركه " [35]، يعني الذّكر والسّمعة الطّيّبة، وفي رواية أخرى، قال عدي بن حاتم : " يا رسول الله إنّ أبي كان يصل الرّحم ويفعل، ويفعل، فهل له في ذلك، يعني أجر، قال :" إنّ أباك طلب شيئاً فأصابه " [36] .

ذكر ابن كثير أنّه كانت لحاتم مآثر وأمور محبّبة وأخبار مستغربة في كرمه، لكن لم يكن يقصد بها وجه الله والدّار الآخرة، وإنّما كان قصده السّمعة والذّكر الحسن، وذكر حاتم عند النّبي ﷺ فقال : " ذاك أراد أمراً فأدركه " [37] .

أراد حاتم الحمد والثّناء والسّمعة الطّيبة، يقول مخاطباً ماوية بنت عفزر :

أَماوِيُّ إِنَّ المالَ غادٍ وَرائِحٍ ... وَيَبقى مِنَ المالِ الأَحاديثُ وَالذِّكرُ

وَإِنِّيَ لا آلو بِمالٍ صَنيعَةٍ ... فَأَوَّلُهُ زادٌ وَآخِرُهُ ذُخرُ [38]

وكان يخاف من مذمّات الأحاديث بعد موته، يقول :

إِذا ما صَنَعتِ الزّادِ فَالتَمِسي لَهُ ... أَكيلاً فَإِنّي لَستُ آكِلَهُ وَحدي

أَخاً طارِقاً أَو جارَ بَيتٍ فَإِنَّني ... أَخافُ مَذَمّاتِ الأَحاديثِ مِن بَعدي [39]

وكان على ثقة بأنّ المال لا ينفع بعد الموت، وإنما الّذي ينفع السّمعة والذّكر الحسن، يقول :

وَماذا يُعَدّي المالُ عَنكَ وَجَمعُهُ ... إِذا كانَ ميراثاً وَوارِاكَ لاحِدُ [40]

وفي ذلك تأكيد على أنّه لم يُرد وجه الله من كرمه، وإنّما الذّكر الحسن والسّمعة الطّيبة، وقد حقّق ما أراد، لقد كان عفيف

النّفس والطّباع، فأضحت الأخلاق عنده طبعاً وسجيّة، رُوي عن صالح أنّ حاتماً أوصى عند موته، فقال : " إنّي أعهدكم من نفسي بثلاث :" ما خاتلت جارة لي قط عن نفسها، ولا أُئتمنت على أمانة إلا قضيتها، ولا أتى أحد من قبلي بسوءة أو قال لسوء"[41].

أغلب الظّن أنّ حاتماً اكتسب هذه الأخلاق بالفطرة السّليمة، التي جُبل عليها –كغيره من العرب – ، وتعلّمها من مدرسة تربويّة أخلاقيّة، وأضحت عندهم طبعاً وسجيّة ، وربما تعلّم شيئاً من القيم والمبادئ من النّصرانية ،أو من دين سماويّ آمن أو تأثر به، فأثّر ذلك كلّه في سلوكه ، فكان مثالاً صادقاً في مكارم الأخلاق، تلك المكارم التي جاء الرّسول ﷺ ليتمّمها .

مات الرّجل قبل البعثة، فهل يُجزم بكفره وخلوده في النار ؟!

ذكر صاحب الأغاني أنّ عدي بن حاتم سأل الرّسول ﷺ قائلاً :" يا رسول الله، إنّ أبي كان يُعطي ويحمل، ويُوفي بالذّمة، ويأمر بمكارم الأخلاق؛ فقال له رسول الله ﷺ: إنّ أباك خشبة من خشبات جهنم"[42].

قد لا تُقبل هذه الرّواية، بخاصّة أنّ حاتماً مات قبل البعثة، فهو من أهل الفترة الّذين اختلف العلماء بحالهم، فمنهم من قال يمتحنون يوم القيامة، وهذا رأي ابن باز– رحمه الله – ومنهم من قال الله أعلم بحالهم.

أحبّ حاتم مكارم الأخلاق، وآمن بها ودعا إليها، كان جواداً كريماً، عفيفاً، وفياً، صادقاً، لذا استحق السّيادة والرّيادة بجدارة، أحبّ قومه وأحبّوه .

الفصل الثّاني

ملامح البطولة النّفسية والشّمائل الإنسانية في شعره

ضرب مثلاً حسناً في البطولة النّفسيّة والشّمائل الإنسانيّة، ورسم لوحات واقعيّة تُعدّ دروساً في التّربية والأخلاق، منها :

الكرم :

تكشّفت هذه القيمة الخلقيّة في نفسيّة حاتم، فقد تأصّلت في نفسه وأصبحت عنده طبعاً وسجيّة، وعادة حسنة لا يستطيع عنها حولاً، يقول :

وَقائِلَةٍ أَهلَكتَ بِالجودِ مالَنا ... وَنَفسَكَ حَتّى ضَرَّ نَفسَكَ جودُها
فَقُلتُ دَعيني إِنَّما تِلكَ عادَتي ... لِكُلِّ كَريمٍ عادَةٌ يَستَعيدُها [43]

وكان هذا الأريحيّ يشاور نفس الجود حتّى تستجيب له :

أُشاوِرُ نَفسَ الجودِ حَتّى تُطيعَني ... وَأَترُكُ نَفسَ البُخلِ لا أَستَشيرُها [44]

لأنّه كان يدرك أنّ الرّزق من عند الله :

كُلوا الآنَ مِن رِزقِ الإِلَهِ وَأَيسِروا ... فَإِنَّ عَلى الرَّحمَنِ رِزقَكُمُ غَدا [45]

لذا بسط يديه كلّ البسط، أنفق بلا حساب، وكلّف نفسه فوق طاقتها :

وَإِنّي لَأُعطي سائِلي وَلَرُبَّما ... أُكَلَّفُ ما لا أَستَطيعُ فَأَكلَفُ [46]

ولا مبالغة في ذلك، فقد ذُكر أنّ جارية جاءته وصبيتها يتعاوون من الجوع، فذبح لهما فرسه، وهي أعزّ ما يملك [47].

بالغ الرّجل في الكرم مبالغةً قد تبدوا مقبولة، وإن كانت مستحيلة، فقد عُرف عنه أنّه كان جواداً يشبه شعره جوده، ويصدق في قوله فعله[48]، يقول :

وَإِن لَم أَجِد لِنَزيلي قِرىً ... قَطَعتُ لَهُ بَعضَ أَطرافِيَه [49]

كان يعطي وهو مجهود، ويتخلّى عما في يده، وهو إليه أحوج، لتأصّل الكرم فيه طبعاً وسجيّة.

وَلَو شَهِدَتنا بِالمِزاحِ لَأَيقَنَت ... عَلى ضُرِّنا أَنّا كِرامُ الضَّرائِبِ [50]

ضافه ضيف في سنة لم يقدر على شيء، وقد أمحل، ولم يكن عنده سوى ناقة – يقال لها أفعى – يسافر عليها، فعقرها وأطعم ضيفه، فقسمها وبعث إلى عياله بقسمه الآخر، إذ كيف يطيق الكريم أن يرى ضرّاً قد حاق بالنّاس، ولا يرفعه .

لَمّا رَأَيتُ النّاسَ هَرَّت كِلابُهُم ... ضَرَبتُ بِسَيفي ساقَ أَفعى فَخَرَّتِ
فَقُلتُ لِأَصباهِ صِغارٍ وَنِسوَةٍ ... بِشَهباءَ مِن لَيلِ الثَّلاثينَ قَرَّتِ
عَلَيكُم مِنَ الشَّطَّينِ كُلَّ وَرِيَّةٍ ... إِذا النّارُ مَسَّت جانِبَيها اِرمَعَلَّتِ
وَلا يُنزِلُ المرءُ الكَريمُ عِيالَهُ ... وَأَضيافَهُ ما ساقَ مالاً بِضَرَّتِ [51]

فهو لكرمه ونبله أبى أن يطعم ضيفه في وقت الجدب إلا ما يطعمه الضّيفان في وقت الرّخاء، فهو يقري شحم سنام البعير، وهو أطيب لحمه، وكان فعله شاهداً مثبتاً لقوله :

أَلَم تَعلَمي أَنّي إذا الضَّيفُ نابَني وَعَزَّ القِرى أَقري السَّديفَ المسَرهَدا [52]

هذا هو العطاء الحقّ الّذي يبيّن عن جود حقيقي ويكشف عن بطولة نفسيّة، فهو يكشف الضّر عن الضّيوف والجيران؛ لذا فهو لا يردّ أبداً عن أناء وإن بلغ به العسر أقصاه .

أَماوِيُّ إِنّي لا أَقولُ لِسائِلٍ إِذا جاءَ يَوماً حَلَّ في مالِنا نَزرُ [53]

وقد تنزل به النّوازل، فتكون حاجته لماله أشدّ ليدفع به ما حلّ بساحته، فيأتيه عافٍ مُجْتَدٍ، فيقدّمه على نفسه، ولا يحبّ أن يعتل عليه .

ولا أعتلّ من فتح بمنع إذا نابت نوائب تعتريني [54]

بل هو لا ينتظر السّائل حتى يأتيه، فحين يشتد القحط، ويعزّ القرى في كَلَب الشّتاء، وتعصف الرّيح الباردة لأطناب الخيام، ويزيد البرد في شعور الإنسان بالطّوى، يدرك حاتم ما يقاسيه النّاس، فيرسل إليهم — دون أن يسألوه — لا يفرّق بين من يربطه بهم نسب قريب أو نسب بعيد لتتجلّى مروءته في أسمى معانيها، بطلاً نفسيّاً يخفّف الكرب إذا عصف الجوع بمن حوله .

وَإِنّي لَأُغشي أَبعَدَ الحَيَّ جَفنَتي إِذا حَرَّكَ الأَطنابَ نَكباءُ حَرجَفُ [55]

ويقول :

وَإِنّي لَيَغشى أَبعَدُ الحَيُّ جَفنَتي إِذا وَرَقُ الطَلحِ الطِوالِ تَحَسَّرا [56]

إنّ الجود صفة لازمة للمرء الكريم، فالجواد يعطي من يقصده، عرفه أو لم يعرفه، ويبذل ما في يده على شدّة حاجته إليه، وهذا النّوع من البذل لا يطيقه إلا الجواد حقاً ؛ لأنّه شيء في أصل جِبلّته .

هنا تتجلّى المروءة في أسمى معانيها، وتكشف عن نفسيّة جواد شريف لا يفرق بين أحد من ضيوفه عرفهم أم لم يعرفهم، ويحفظ للفقراء والمعوزين كرامتهم .

إنها السّعادة الحقيقيّة، سعادة الجواد، وسعادة الضّيف والمحتاج .

وسار هذا المري [رجل مري من المروءة] على منوال كرماء العرب آنذاك، فقد كان لكرمه مظاهر وأصول، من أهمها : بسط الوجه، وحسن اللّقاء، لأنّه أوّل القِرى، فقد قيل: "من تمام الضّيافة الطّلاقة عند أوّل وهلة، وإطالة الحديث عند المواكلة " [57]، وفي ذلك يقول هذا البسيط [الذي إذا رأيته انبسط إليك ورأيته يتهلّل وجهه، وعرفت السّرور في وجهه] :

أأبسطُ وجهي إنّه أوّل القِرى وأبذلُ معروفي له دون مُنكري [58]

والمهمّ عنده أن يكون وجه الكريم خصيباً :

وما الخصبُ للأضيافِ أنّ يَكثُرَ القِرى ولكنّما وجه الكريمِ خَصِيبُ[59]

وأحسب أنّ المروءة تتجلى في هذه المعني، فالكرم لا يتمثّل في تقديم الطّعام للنّزلاء الغرباء وغيرهم، فهو أسمى من ذلك وأعم، فالضّيف لابدّ أن يشعر بالمودّة والرّحمة والأنس والسّعادة .

وكان عبده البادي بإيقاد النّار ليلاً على الرّبا والجبال، ليهتدي بها الغرباء الّذين طوّحت بهم متون الفيافي والقفار، يستحقّ الحمد والثّناء .

إذا ما البخيلُ الخبُّ أخْمَدَ نارَهُ أقولُ لِمَنْ يَصْلي بناريَ: أوقدوا
توَسّعْ قليلاً، أو يكُنْ ثَمّ حسْبُنا ومُوقِدُها البادي أعَفّ وأحمدُ [60]

وإن جلبت النّار ضيفاً، فالعبد الموقد حرّ :

أوْقِدْ فإنَّ اللّيلَ لَيْلٌ قَرُّ والرّيحَ يا موقِدُ رِيْحٌ صِرُّ
عَسَى يَرى نَارَكَ مَنْ يَمُرُّ إنْ جَلَبَتْ ضَيْفاً، فأنْتَ حُرُّ! [61]

والعبد بصفته إنساناً له مشاعر وأحاسيس، لابد أن تُراعى وتحترم إنسانيته وينال نصيباً من كرم هذا الأفق [الذي بلغ النّهاية في الكرم] وأيّ نصيب أعزّ من حريته وكرامته .

والعجيب في الأمر أنّ هذا السيّد كان عبداً لضيفه مادام ثاوياً :

وإنّي لعَبْدُ الضّيفِ مادام ثاوياً وما فيَّ، إلاّ تلكَ من شيمةِ العَبدِ[62]

وكانت مواقده دائماً منصوبة، وقدوره علي الأثافي موضوعة، في الفضاء غير محجوبة، ونيرانه مكشوفة، وإبله لإشارته مرهونة، يؤكّد على ذلك بقوله :

وما تَشتكي قِدْري، إذا النّاسُ أمحَلتْ أُؤَثّفُهـا طَوْراً، وطوْراً أُميرُهـا
وأُبْرِزُ قِدْري بالفضاءِ قليلُها يُرَى غَيرَ مَضْنُونٍ بهِ وكثِيرُها
وإبْلي رَهْنٌ أنْ يكونَ كريمُها عَقِيراً ،أمامَ البيتِ حينَ أُثيرها
وليسَ على ناري حِجابٌ يَكُنّها لمسْتَوْبِصٍ ليلاً، ولكِنْ أُنيرُها [63]

وهذا يعني أنّه كان يطعم الغريب والقريب، والقاصي والدّاني، والغني والفقير، وفوق ذلك كلّه لم يسمح لنفسه مسّ مشاعر الطفولة البريئة، وإهدار كرامة الّذين يحسبهم الجاهل أغنياء من التّعفّف، فقد كان خيره يصل إلى هؤلاء دون أن يتحمّلوا مذلّة السّؤال، وهنا يتفاعل كرمه مع عفّته في بوتقة البطولة النّفسيّة .

فخيره يصل إلى جاراته التي غاب زوجها دون أن يزورها حياءً وعفةً ووفاءً لزوجها، فهو حريص على تأصيل مدرسة الأخلاق الإنسانية الّتي وضع لها الأصول والمبادئ والقيم لتهتزّ وتربو، وتنبت من كلّ زوج بهيج في مجتمع عربي قدّس هذه القيم وآمن بها .

كان الرّجل يُعطي من أجل العطاء، ويبذل من أجل البذل، وينفق بلا حساب، لحوافز كثيرة، وأغراض نبيلة كغيره من كرماء العرب، منها:

1- **عادة حسنة** : تأصّلت هذه العادة في نفس حاتم ذي الأريحيّة، وأصبحت عنده طبعاً وسجيّة، لا مناص منها، فهو الّذي يخفّف بعضاً من معاناة المعذّبين، ويرسم البسمة على شفاه الإنسانيّة:

وَقائِلَةٍ أَهلَكتَ بِالجودِ مالَنـا وَنَفسَكَ حَتّى ضَرَّ نَفسَكَ جودُها
فَقُلتُ : دَعيني إِنَّما تِلكَ عادَتي لِكُلِّ كَريمٍ عادَةٌ يَستَعيدُهـا [64]

2- الخوف من الذّم : لم يقبل حاتم أن يكون لُعنة للنّزل، وأن يخرج عن القانون الفطري الّذي فرضته الظّروف القاسية، فلن تقرّ له عين، ولن يغمض له جفن، حتّى يطعم الآخرين من طعامه خوفاً من مذمّات الأحاديث :

إِذا ما صَنَعتِ الزّادِ فَالتَمِسي لَهُ أَكيلاً فَإِنّي لَستُ آكِلَهُ وَحدي
أَخاً طارِقـاً أَو جارَ بَيتٍ فَإِنَّني أَخـافُ مَذَمّاتِ الأَحاديثِ مِن بَعد [65]

وهذا يعني أنّه كان حريصاً على السّمعة الطّيبة .

3- تحقيق الحمد والثّناء و السّمعة الطّيبة :

لاشكّ أنّ كرمه هذا كان يصدر عن طبع وسجيّة، ولكنّه كان حريصاً على السّمعة الطّيبة، والذّكر الحسن، عبّر عن ذلك حين أنشد زوجه ماويّة بنت عفزر [66] :

أَماوِيُّ إِنَّ المالَ غادٍ وَرائِحٍ وَيَبقى مِنَ المالِ الأَحاديثُ وَالذِكرُ
وَإِنِّيَ لا آلو بِمـالٍ صَنيعَـةٍ فَأَوَّلُـهُ زادٌ وَآخِـرُهُ ذُخـرُ [67]

4- صون العرض : أغدق هذا الرّهشوش [النّدي النفس، الكريم النّفس]، بلا روية، وأتلف ماله بلا حساب، وبذل بلا حدود ؛ ليصون عرضه، فالتّضحية بالمال أهون من التّضحية بالعرض، أكدّ على ذلك في غير مرّة، قال مخاطباً عاذلة تلومه :

ذَرِيني يَكُنْ مالي لِعِرْضِيَ جُنّةً يَقي المالُ عِرْضي قبل أن يتبدّدا [68]

وقال في قصيدة أخرى :

وأجعَلُ مالي دون عِرْضيَ، إنّني كذلِكُمُ مِمّا أُفيدُ وأُتْلِف [69]

ذكر صاحب الأغاني أنّ جدّ حاتم تركه ومعه جاريته وفرسه وفلوها، عندما أنهب إبله وأعطاها إلى عبيد بن الأبرص، وبشر بن أبي حازم، والنّابغة الذّبياني [70] .

فقال حاتم :

وأجعِلُ مالي دونَ عِرْضِيَ جُنّةً لِنَفسي، فأستَغني بما كان من فضلي [71]

لقد جعل الرجل من كرمه درعاً حصيناً لحماية عرضه، والمحافظة على إنسانيته وإنسانية الآخرين الذين يقدّم لهم واجبات الضّيافة،

أو يمدّ لهم يد العون من المعدمين ذوي المترية، فهو يؤصل فيهم المعاني الإنسانية، ويزرع فيهم الشّهامة والمروءة في مدرسة العفّة التي احتضنت كلّ القيم والمبادئ، فلا يسمحون لأنفسهم مس عرضه، ولا يسمحون للآخرين فعل ذلك ؛ دفاعاً عنه، واحتراماً وتقديراً له وحفاظاً على العهد والمبدأ .

5- **صلة الرّحم**: صيانة العرض من أسّس صلة الرّحم؛ لذا أغدق هذا الكريم على الجميع، بخاصّة أقاربه ذوي المقربة، حفاظاً علي صلة الرّحم، وفي ذلك يقول مخاطباً زوجه نوار :

لا تَعْذِليني علي مالٍ، وصلتُ بهِ رَحماً وخيرُ سبيلِ المالِ ما وَصَلا [72]

والهدف من ذلك صون كرامتهم، والمحافظة على مروءتهم وشهامتهم، إنّه يريد أن يخفّف من معانتهم، ويُدخل المسرّة في نفوسهم، ونفوس آخرين من الأسرى والعبيد .

إنّ صلة الرّحم ضرب من البطولة النّفسيّة الّتي تتخطّى قواعد المجتمع، وتؤسّس لنهج إنساني خصّصت له من الشّمائل ما يجعله مقبولاً في سلوك البشر، والإحسان إلى الأهل والعشيرة أوّل درجات صلة الرّحم، وبه تطمئن القلوب إلى سيادة الخير، وتصفو النّفوس من الحسد، وتزداد المحبّة والمودّة .

6- **فك الأسرى وعتق العبيد** : لم تستعبده أمواله، فكان يتصرّف فيها كيفما شاء، من أجل رفع المعاناة عن الإنسانية المعذبة المهدورة كرامتها أسراً أو عتقاً .

ذكر صاحب الأغاني أنّه عندما طلّقته زوجه ماوية، وقد حوّلت الخباء، كما كانت تفعل النّسوة في الجاهلية، نزل ببطن واد، فنزل خمسين ضيفاً علي باب الخباء، كما كانوا ينزلون، فعلم الخبر من الجارية، فقام إلى الإبل، وأتى الخباء، وضرب عراقيبها، فطفقت ماوية تصيح وتقول: هذا الّذي طلّقتك فيه، تترك ولدك وليس لهم شيء [73]، فقال أبياتاً :

إذا كانَ بعضُ المال رَبّاً لأهْلِهِ فإنّي بحَمْدِ اللهِ ما لي مُعَبَّدُ

يُفكُّ بـهِ العاني ويُؤكَـلُ طَيّبـاً ويُعْطَى إذا مَنّ البخيلُ المطَرَّدُ [74]

وذُكر – أيضاً – في الأغاني أنّه خرج في الشّهر الحرام يطلب حاجة، فلما كان بأرض عنزة ناداه أسير لهم " يا أبا سفّانة، أكلني الإسار والقمل، قال: ويلك ! والله ما أنا في بلاد قومي، وما معي شيء،

وقد أسأت بي إذ نوّهت باسمي ومالك مَتْرَك، فساوم به العنزيين، فاشتراه منهم، فقال: خلُّو عنه وأنا أقيم مكانه في قيده حتّى أؤدّي فداءه، ففعلوا، فأتي بفدائه " [75] .

يتضمّن هذا الخبر – إن صح – دلالات كثيرة، فهذه القيمة الخُلقية المتأصّلة في نفس حاتم، أملت عليه بأن يستجيب لطبيعته وسجيته، وأن يؤدّي واجباً فُرض عليه في ظروف غير ملائمة؛ خوفاً من الذّم، وطمعاً في السّمعة والثّناء، ورغبة في رفع المعاناة عن أسير، ليدخل المسرّة في نفسه، ونعتقد أنّه شعر بنوع من السّعادة، وفي الوقت نفسه تجرّع ذل الأسر، ولكن هذا الذّل أهون من التّهرّب من أداء الواجب، وهنا نختلف قليلاً مع د. عمر الدّسوقي الّذي قال: " إنّ العربيّ لا يجود أداءً لواجب، أو

طاعة لقانون أو خوفاً من قدح، أو طمعاً في محمدة، وإنّما يجود لأنّه يشبع في نفسه رغبة، ويدخل عليها مسرّة، وهذه هي الغاية القصوى في تربية الفضيلة "[76].

لاشكّ في أنّه يدخل السّعادة في نفسه، ولكنّه يدخلها في نفس الأسير، الّذي يعاني ذلّ الأسر والقيد، وأغلب الظّن أنّ هذه الغاية القصوى في تربية الفضيلة عند الكريم، وعند الأسير والعبد، وإن شئت عند الجميع، والهدف الأسمى الّذي يسعى المري إلى تحقيقه في مجتمع آمن بهذه القيمة وقدّسها من أجل عادات نبيلة ومعانٍ مقدّسة .

لقد كان– كما ذكرنا آنفاً – يأمر عبيده ويشجّعهم لإيقاد النّار، بخاصّة في اللّيالي شديدة البرودة، لاصطياد الضّيوف لإكرامهم؛ ليشبع رغبته في الكرم، ويحقّق السّعادة لنفسه وللضّيوف، وليس هذا فحسب، فإن جلبت النّار ضيفاً، فموقدها سيحقّق أغلى أمنية، وأيّ أمنية أغلى من نيل الحريّة عند العبد ؟! وأي سعادة يشعر بها المرء، عندما يخلع رداء الذّل والهوان، ويرتدي رداء العزة والكرامة؟!، فما أجمل أن يرى الإنسان البطولة النّفسيّة في قوله :

أَوْقِدْ فإنَّ اللّيلَ لَيْلٌ قَرُّ والرّيحَ يا موقِدُ رِيْحٌ صِرُّ
عَسَى يَرى نَارَكَ مَنْ يَمُرُّ إنْ جَلَبَتْ ضَيْفاً، فأنْتَ حُرُّ! [77]

ولا ندري أي كسب أربح ؟ وأي سعادة أوفر؟ اصطياد نزيل لإكرامه ؟ أم عتق عبد ؟ المهم عندنا أن الأمرين يصبان في معين البطولة النّفسيّة والشهامة، وتحقيق السّعادة للجميع .

وبذلك يكون هذا الجواد قد حقّق مكاسب كثيرة، وفضائل عظيمة من: الثّناء والذّكر الحسن، والسّمعة الطّيبة، ونقاء العرض، فهذه المسبّبات كفيلة بترشيحه سيّداً مطاعاً .

7– **وسيلة من وسائل السّيادة** : قد يكون الجود وسيلة من وسائل السّيادة، ولا عجب في ذلك، لأنّ الجواد يتلف أمواله من أجل أغراض إنسانيّة نبيلة، وقد أصبح حاتم سيّداً؛ لأنّه كان كريماً، وفي ذلك يقول:

أُسَوَّدُ ساداتِ العَشيرَةِ عارِفاً وَمِن دونِ قَومي في الشَّدائِدِ مِذوَدا
وَأُلفى لِأَعراضِ العَشيرَةِ حافِظاً وَحَقِّهِم حَتّى أَكونَ المسَوَّدا [78]
يقولونَ لي : أهلكتَ مالك فاقتصِدْ وما كنتُ لولا ما تقولونَ سيّداً [79]

هذه السّيادة ليست مبنية على الغلبة، والقهر، والاستبداد، بل كان مصدرها الحبّ والاحترام، والتّقدير في مجتمع المبادئ والقيم، فقد استحوذ الرّجل على قلوب قومه بما بذله من عطاء بلا حدود، حقّق لهم حياة كريمة، فكان حقّاً عليهم اختياره سيّداً .

ولعلّ أسمى الغايات الّتي سعي إليها – إن صحّت نسبة البيت إليه – ابتغاء وجه الله ﷻ، في مجتمع لم تشرق فيه شمس الإسلام بعد، يقول :

فَلَو كانَ ما يُعطي رِياءً لَأَمسَكَت بِهِ جَنَباتُ اللَّومِ يَجذِبنَهُ جَذبا
وَلَكِنَّما يَبغي بِهِ اللَهَ وَحدَهُ فَأَعطِ فَقَد أَربَحتَ في البَيعَةِ الكَسبا! [80]

من المؤكّد أنّ الكرم قيمة أخلاقية تأصّلت في نفس العربي، وأصبحت عنده طبعاً وسجيّة، ولا شكّ أنّ الرّجل كان ينفق من أجل أهداف سامية – كما بيّنا آنفاً – وقد حقّق كلّ هذه الأهداف، وذاع ذكره في العالمين إلي يومنا هذا، والسّؤال الّذي يطرح نفسه، هل كان يقصد من ذلك وجه الله ؟!، ربما كان يقصد ذلك .

لقد كره حاتم البخل، فالبخل عنده علامة من علامات اللّؤم، فاللّئيم هو الّذي يُضيق بماله وطعامه، وأشدّ النّاس خِسة وضعة ولؤماً يشحّ بما يملك، وقد جَهِدَ النّاس، ونال منهم الجوع :

إذا أزَرُوا بالشَّوكِ أعْجازَ نَخْلِهم ... رَأَيْتُ عِذاقِي بَيْنَها ما تُؤَزَّرُ
فمِنْ بَيِّناتِ اللُّؤمِ إحْظَارُ سِدْرَةٍ ... على جِذْعِها يَحْمِينَها لا تَتَغيَّرُ
فلستُ بمُؤْنِيه وأضيافُ أهلِـه ... غِراثٌ إلى وقتٍ يَجِدُ ويُثْمِرُ [81]

والكريم وإن رُزي في ماله مرّة بعد مرّة، فلا يحبس عطاءه خوفاً من ضيف قد يحيق به؛ تجنّباً لشدّة قد وقع فيها قبل، وإنّما ذلك هو اللّئيم الشّحيح الكزّ :

وَما مِن لَئيمٍ عالَـهُ الدَّهرُ مَرَّةً ... فَيَذكُرَهـا إلّا اِستَمـالَ إلى البُخلِ
فقدت الّذي منا يَرى البُخلَ رِفعَةً ... إذا حلّ ضيف لا يُمِرُّ ولا يحلي
وللبَخلة الأولى لِمَن كانَ باخلاً ... أعفُّ ومن يبخل يُلَمْ ويزهَّدِ [82]

إنّه يتكلّف كلّ التكلّف، ويتكئ على نفسه وأهله، ولم يفعل لشأنه ذلك دعاية :

وَإِنّي لَأُعطي سائِلي وَلَرُبَّما ... أُكَلَّفُ ما لا أَستَطيعُ فَأَكلَفُ
وَإِنّي لَمَذمومٌ إِذا قيلَ حاتِمٌ ... نَبا نَبوَةً إِنَّ الكَريمَ يُعَنَّفُ [83]

إنّها البطولة النّفسية، والإيمان بالقيمة الخُلقية، وهو على أتمّ الاستعداد بأن يُضحي بماله، وأهل بيته، ولا يضحي بالقيمة الخُلقية، فهو قادر على صدّ هجوم ثنائي من زوجتيه: ماوية، والنّوار؛ لتحقيق مصالح مشتركة، فقد رأيا في جوده خطراً يهدّدهما، وألحّتا عليه أن يخفّف من إنفاقه في الكرم؛ حتّى لا يقعد ملوماً محسوراً، ولم تسأما الحديث معه آناء اللّيل وأطراف النّهار :

وَعاذِلَتَينِ هَبَّتا بَعدَ هَجعَةٍ ... تَلومانِ مِتلافاً مُفيداً مُلَوَّما
تَلومانِ لَمّا غَوَّرَ النَّجمُ ضِلَّةً ... فَتىً لا يَرى الإِتلافَ في الحَمدِ مَغرَما
فَقُلتُ وَقَد طالَ العِتابُ عَلَيهِما ... وَلَو عَذَراني أَن تَبينا وَتُصرَما [84]

ولكن ماويّة لم تقتنع بما قال، فلم تخلف وعيدها، وحاول حاتم يترضّاها، فأعرضت وهجرته، فلم يضعف، ولم يستجب، وقدّم أدلة واضحة وبراهين ساطعة لما يفعله، فهو لا يستطيع أن يردّ سائلاً :

أَماوِيُّ قَد طالَ التَجَنُّبُ وَالهَجرُ وَقَد عَذَرَتني مِن طِلابِكُمُ العُذرُ [85]

أمّا النّوار فلم تهجره، وإن أكثرت من لومه وأطالت في عذله، إذ رأت أنّ أهله وعياله أحقّ بما يعطيه للنّاس، فهي تضرب على وتر حسّاس، فالعيال أولى من غيرهم، ولكن البطل يبقى بطلاً وإن حمي وطيس المعركة، لابُدّ من الصّبر والثّبات، وتقديم الأدلة والبراهين؛ لتحقيق النّصر على الخصم، يقول مخاطباً النّوار:

مَهلاً نَوارُ أَقِلّي اللَّومَ وَالعَذَلا وَلا تَقولي لِشَيءٍ فاتَ ما فَعَلا
وَلا تَقولي لِمالٍ كُنتُ مُهلِكَهُ مَهلاً وَإِن كُنتُ أُعطي الجِنَّ وَالخَبَلا
إِنَّ البَخيلَ إِذا ما ماتَ يَتبَعُهُ سوءُ الثَّناءِ وَيَحوي الوارِثُ الإِبِلا [86]

ولكنها لم تستجب، وسلقته بألسنة حداد، لم تؤثّر فيه، بل زادته إصراراً وثباتاً على المبدأ :

وَعاذِلَــةٍ هَبَّت بِلَيــلٍ تَلومُني وَقَد غابَ عَيّوقُ الثُرَيّا فَعَرَّدا
تَلومُ عَلى إِعطائِيَ المالَ ضِلَّةً إِذا ضَنَّ بِالمــالِ البَخيلُ وَصَرَّدا
تَقولُ أَلا أَمسِــك عَلَيكَ فَإِنَّني أَرى المالَ عِندَ المُمسِكينَ مُعَبَّدا
أَريني جَواداً مــاتَ هَزلاً لَعَلَّني أَرى ما تَرَينَ أَو بَخيلاً مُخَلَّدا [87]

البطولة النّفسية تتطلّب أسباباً لتحقيق النّصر مخلّداً، كما البطولة الأخرى، فبطل المعركة الشّجاع يأخذ بالأسباب، ويخوض المعركة مدجّجاً؛ من أجل النّصر، وهنا حاتم يدافع عن موقفه في هذه المعركة بأسلوب أمر فيه تعجيز، وبرهان ساطع لما يؤمن به، ولن يتخلّى عن موقفه مهما اشتدّت عواصف اللّوم، وكَثُرت سهام العتاب .

هكذا كان حاتم متمسّكاً بما يؤمن إيماناً راسخاً، فهل كان من المسرفين ؟

لقد أسرف في العطاء والبذل، حتّى قعد ملوماً محسوراً، ولكن إسرافه قد يكون مقبولاً، إذ إنّ شمس الإسلام لم تشرق بعد، ليُحاسب على إسرافه، نعم كان مسرفاً، ومبالغاً في الإنفاق، لكنّه بذلٌ من أجل أهداف نبيلة تتمثّل في رفع المعاناة عن الإنسانية المعذّبة .

والحقّ أنّ الكرماء في عصر بني أمية بالغوا في الإسراف – وهم يدركون أنّ المبذّرين إخوان الشّياطين – من أجل المباهاة والافتخار بالأحساب والأنساب، فقد أطلّت العصبيّة القبلية من جديد بوجهها البشع [88]، وكان يُفترض أن تتطوّر قيمة الكرم الخُلقية كغيرها من القيم، وتبلغ مرحلة النّضج والكمال؛ لأنّها موصولة بالكمال الإلهي المطلق، فيكون الكرم من أجل أهداف إسلامية نبيلة تضمن للفرد حياة كريمة .

ذكر النويهي أنّ حاتماً تعمّد الإسراف، فكان جوده تكلّفاً طلباً للثّناء والذّكر، وقد أتى بنصوص دالة على ذلك [89]، وقد رأى د. عادل سليمان جمال صاحب مقدمة ديوان حاتم أنّ النويهي قد اشتدّ على حاتم، فتسرّع في تصيّد بعض النّصوص للدّلالة على أنّ جود حاتم كان تصنّعاً تكلّفه طلباً للثّناء والذّكر [90] .

كما ردّ د. نوري القيسي على من قال بذلك إذ قال: " وقد حاول البعض أن يفسّر كرم حاتم بالحرص على الشّهرة والدّعاية وإرضاء لكبرياء نفسه واغتباطاً لأنانيته واستقبالاً لألفاظ الشّكر، ولا أجد نفسي مضطراً للردّ على هؤلاء؛ لأنّ قراءة أخباره والاستفادة منها والتّفهم الحقيقي لهذه النّفس الّتي كانت تنطلق بكرمها من أعماق خيرة، وتستمدّ الجود من بيئة زاخرة بفضائل الكرم هي الرّد الوحيد عليهم " [91] .

يمكن الرّد على هؤلاء بأنّ كرم حاتم لم يكن تصنّعاً، بل هو طبع وسجيّة – كغيره من العرب في ذلك العصر- ولم يتعمّد الإسراف، وإن أسرف فهو مقتنع تماماً بما بذله من عطاء، ولكنّه أراد الثّناء والذّكر الحسن فأدركه، كما قال الرّسول ﷺ، نعم لقد أعطى بلا حساب، ولم يخشَ الفقر، ولم يضعف أمام لوم أقرب النّاس إليه، أنفق من أجل أهداف سامية، أغاث الملهوف، وفك الأسرى، وأطعم الطعام طيّباً للغرثى والخمصى في يوم ذي مسغبة، بخاصّة لليتامى ذوي المقربة، والمساكين ذوي المتربة ؛ ليقدّم نموذجاً مثالياً في البطولة النّفسية، ولِمَ لا، فهو يحبّ مكارم الأخلاق .

ومن خلال هذه البطولة يُسجّل بطولة أخرى، إذ إنّه لم يفتخر متكبّراً في حالة الغنى، ولم يكن متخشّعاً في حالة الفقر، وكأنّه يُعلّم الآخرين بأسلوب تربويّ خُلقيّ بأنّ الفقر ليس عيباً، يقول :

عُنينا زَماناً بِالتَّصَعلُكِ وَالغِنى ... كَما الدَّهرُ في أَيّامِهِ العُسرُ وَاليُسرُ
فَما زادَنا بَأواً عَلى ذي قَرابَةٍ ... غِنانا وَلا أَزرى بِأَحسابِنا الفَقرُ [92]

الفصل الثّالث

العفّة وبطولات نفسيّة متفرّقة

أولاً : العفّة

اقترن الكرم عند حاتم بالعفّة، والعفّة :

هي الكفّ عمّا لا يحلّ ويجمل، أو هي ترك كلّ قبيح أو حرام [93] وحدّها أن: " تغضّ بصرك وجميع جوارحك عن الأجسام الّتي لا تحلّ لك " [94] .

من مظاهر العفّة عند حاتم:

العفّة عن النّساء: آمن بالعفّة، ونأى بنفسه عن التّعرّض للنّساء، والنّيل من أعراضهن، وخدش كرامتهن، فهو الّذي يبذل ماله من أجل حماية العرض، فكيف يسمح لنفسه أن يمسّ أعراض الآخرين ؟!، ومدّ يد العون لجاراته، وحافظ على كرامة الكرم، وترفّع عن الخساسة واللّؤم، وغضّ بصره عن جاراته، وعطّل سمعه عن سماع حديثهن، وفي ذلك يقول :

وما ضَرّ جاراً يا بنةَ القومِ فأعلمي ... يُجاوِرُني ألاّ يكون له سِتر
بعينيَّ عن جاراتِ قوْمِيَ غفلةٌ ... وفي السّمعِ منّي عن حديثهنّ وقر [95]

لوحة فنيّة أخلاقية تفيض طمأنينة وأماناً للإنسان الّذي يجاوره ، فهو دائماً يغضّ بصره عن جاراته، لا يسترق السّمع وكأن في سمعه وقراً عن حديثهن، وذلك من شمائل أكرم النّاس خُلقاً، فكما تعوّد أن يستر النّاس جميعاً بكرمه وعطاياه وتقديم العون لهم عفيفاً كريماً، ساتراً لجاراته بصراً وسمعاً، وتلك بطولة نفسيّة لا تتوافر لكثير من النّاس، وبرهان طيّب عن الإيثار الخُلقي الّذي يشكّل البطولة النّفسيّة، فما أحسن قوله:

ما ضرَّ جاراً لي أجاوره ... أنْ لا يكون لبابه سِترُ
أغضي إذا ما جاريَ بَرَزتْ ... حتّى يواريَ جاريَ الخدْرُ [96]

هذه المبادئ نابعة من الدّستور القرآني والهدي النّبوي الشّريف، آمن بها حاتم استجابة لنداء الفطرة السّليمة والعادات الحميدة، فعفّ عن المحارم، وترك المنكر والقبيح الّذي يمجّه العقل البشري وتأباه المروءة والشّهامة، وحرص علي عدم زيارة جارته وبعلها غائب، فهو لا ينظر إلى حليلته، ولا يضع نفسه موضع الرّيبة، ويُصرّح عدم التّطلّع لأسرار الجّار والحفاظ عليه بخُلقه الكريم، وخصال الإنسان، فما حاول التّطلّع لجاره ومعرفة سرّ بيته ليفضحه؛ لأنّه يعلم يقيناً أنّ الكريم من اكتملت شمائله المعنويّة والحسّيّة، فما أجمل قوله:

إذا بِتُّ أخْتِلُ، عِرْسَ جَاري، ليُخْفِيَني الظّلامُ، فَلا خَفِيتُ
أأفضَحُ جارَتي وأخونُ جاري؟ مَعاذَ اللهِ أفعَلُ ما حَيِيتُ!! [97]

ولن يدخل بيت جارته ليحيّيها ليلاً :

وما أنا بالماشي إلي بيْتِ جارَتي طَرُوقا أُحَيّيها كآخَرَ جانب [98]

ولن يلج دار جاره في غيبته، ولكنّه يرسل لعياله كلّ ما يلزمهم :

وما تشتَكيني جارتي غيرَ أنّها، إذا غابَ بَعلُها، لا أزورها
سَيَبْلُغُهَا خَيري، ويَرجِعُ بعلُها إلَيها ولَمْ يُقْصَرْ عليّ سُتُورُها [99]

ولا يطرق بيوت الجارات ليلاً إلّا بالهديّة :

لا نَطرُق الجاراتِ من بعدِ هَجعَةٍ منَ اللّيل، إلاّ بالهَديَّة تُحْمَلُ [100]

وأقسم مؤكّداً علي عفّته وطهارته؛ ليكمل الصّورة البديعة في أخلاقه :

فأقسمْتُ، لا أمشي إلي سرِّ جارَةٍ، مدّى الدّهر مادامَ الحَمامُ يُغرّدُ [101]

ولعلّ ذلك من أحسن ما قيل في اقتران الكرم بالعفّة في الشّعر الجاهليّ، ويدلّ ذلك علي شدّة الحياء، والدّعة والورع، وهما فضيلتان من فضائل العفّة، فالحياء: انحصار النّفس خوف إتيان القبائح، والحذر من الذّم والسّبّ الصّادق، والدّعة: هي سكون النّفس عن حركة الشّهوات، والورع: هو لزوم الأعمال الجميلة الّتي فيها كمال النّفس [102] .

ذلك هو الالتزام بالميثاق الأخلاقي، وتلك هي المواقف النّبيلة الّتي تُظهر البطولة النّفسيّة الحقيقيّة فيمن يحفظ الشّرف فلا يُجاهر بالفضيحة .

عفّة النّفس ورفض الذّل والذّم، والصّبر علي الجوع :

رفض كغيره من العرب آنذاك الذّل والهوان والاستسلام للطّبيعة القاسية، ونكبات الزّمان؛ حفاظاً علي عفّة نفسه، وصوناً لكرامته، ورفضاً للذّل والخضوع، وفي ذلك يقول :

سأبي وتأبى بي أصولٌ كريمةٌ، وآباءُ صِدْقٍ بالمَوَدَّةِ شُرِّفوا [103]

وقال في موضوع آخر :

ولستُ، إذا ما أحدثَ الدّهْرُ نَكبَةً بأخضَعَ وَلاّجٍ بُيُوتَ الأقارِب [104]

ودعا إلى إكرام النّفس، وبذل المال، فالمرء إذا مات، يكون ماله نهباً مقسّماً، في قوله:

فنفسَكَ أكرِمْها، فإنّكَ إنْ تهنْ عليكَ فلن تُلفي لك الدّهر مُكرِما [105]

وحثّ على مجاورة الكريم للتّخلّق بأخلاقه في قوله :

وذو اللّبّ والتّقوى حقيقٌ إذا رأى ذوي طَبَعٍ الأخلاق أن يتكرَّما
فجاوِرْ كريماً، واقتدِحْ من زِنَادِهِ وأسْنِدْ إليه، إنْ تطاوَلَ سُلّما [106]

وتفاعل كرمه مع عفّة نفسه، ورفضه الذّل والهوان، حيث يقول :

فَلوميني إذا لَمْ أَقرِ ضَيفاً وَأُكرِمِ مُكرِمي وَأُهِن مُهيني [107]

وضرب أروع الأمثلة في الحياء، والقناعة والصّبر على الجوع، وهما من الفضائل الّتي تندرج تحت العفّة [108]، فكان يبيت جائعاً؛ حياءً وخجلاً، وخوفاً من الذّم، يقول :

وإنّي لأسْتَحيي صِحابِي أنْ يَرَوْا مَكانَ يَدي في جانبِ الزّادِ أقرَعا
أُقَصِّرُ كَفّي أنْ تنالَ أكُفَّهُمْ إذا نحنُ أهْوَيْنا، وحاجاتُنا معا
أبِيتُ خُمَيص البطن مضطمِر ا لحشا حَياءً، أخافُ الذّمّ أنْ أتَضلّعا [109]

وقال في موضع آخر :

وإنّي لأخزى أنْ تُرَى بِيَ، بِطْنَةٌ وجاراتُ قومي طاوياتٌ، ونُخَّفُ [110]

وأكدّ ما ذهب إليه بالقسم، بالّذي يعلم الغيب، ويحي العظام وهي رميم، إذ قال :

أما والّذي لا يَعْلمُ الغَيْبَ غَيْرُهُ ويُحيِي العظَام البِيضَ، وهي رَميمُ
لقد كنتُ أطوي البطنَ، والزّادُ يُشتَهَى مخافةَ، يوْماً، أنْ يُقالَ لئيمُ [111]

وهو بذلك يرسم طريقة لإعزاز نفسه، والدّفاع عنها والسّيطرة عليها، كل ذلك رسم لبطولة الشّمائل النّفسيّة، وتجسيد لمضمونها، " وكأنّ الإقدام في ميدان الحرب، وإحجام النّفس في مجال الفضيلة والعفّة يسيران في خطّين متوازنين، فمهما كان الاندفاع والكرّ والفرّ كان التّعقّل والتّريّث لإكرام النّفس بعفّتها ورفعة مكانتها " [112] .

إنّه الإنسان صاحب الأصول الكريمة والمبادئ العظيمة الّتي تربّى عليها وتأصّلت في نفسه، وسعى إلى تأصيلها في النفوس، وهي من المروءة بمكان، ومن الأخلاق بقيمة، فعفّة النّفس أورثته الحلم والرفق، ولين الجانب، وهو بذلك يرسم لوحات في عفّة النّفس تفيض بعنصر البطولة .

ثانياً : الوفاء:

تأصّلت هذه القيمة الخُلقية في نفس هذا الجواد، فالّذي يجود بماله من أجل أغراض نبيلة، ينأى بنفسه عن الغدر، من أجل المال، فهذا المال كما قال قليل لا خير فيه :

ولا أشتري مالاً بغَدْرٍ علِمْتُه ألا كلُّ مالٍ، خالطَ الغدْرُ أنكَدُ [113]

لقد أدرك أنّ من أنبل الشّمائل الإنسانيّة أن يكون المرء وفيّاً بوعده ، باراً بما أخذ على عاتقه ، ولو كلّفه ذلك مشقة وعناء؛ لذا قدّر الوفاء فإذا وعد وعداً أوفى به ، وحرص عليه لما فيه من خير وعلو مكانة بين أفراد قبيلته ، وكان وفيّاً قوي الإرادة ، بطلاً حقيقيّاً في الوفاء .

إذا أعطى حاتم عهدا وفى به، وحافظ عليه، يتجلّى وفاؤه في أنّه إذا خان أحد عهده، فإنّه لا يغدر، بل يحافظ على عهد الرّجل مهما تبدّل، ولا يخونه ولا يغدر به، ولا يفشي سرّه؛ لأنّه دائما أخو ثقة، يقول :

اللَهُ يَعلَمُ أَنّي ذو مُحافَظَةٍ ما لَم يَخُنّي خَليلي يَبتَغي بَدَلا
فَإِن تَبَدَّلَ أَلفاني أَخا ثِقَةٍ عَفَّ الخَليقَةِ لا نِكساً وَلا وَكِلا[114]

لقد كان وفيّاً مع أبناء عمّه وأقاربه الّذين يحسدونه ويحقدون عليه ويضمرون له العداوة، ولكنّه بالرّغم من ذلك لا يتخلّى عنهم ولا يخذلهم، ويظل وفيّاً لهم، يتجلّى ذلك في قوله :

وَلا آخُذُ المولى لِسوءِ بَلائِهِ وَإِن كانَ مَحيُّ الضُّلوعِ عَلى غَمرِ[115]

وكان وفيّاً مع أصدقائه، فعندما حاول النّعمان بن المنذر الإيقاع بينه وبين أوس بن حارثة، فنقل على لسان أوس كلاما في حقّ حاتم، فأبى حاتم أن يعيب أوساً، وفاءً لما بينهما، لقد كان بينهما ألطف ما يكون بين اثنين [116]، وخرج من عند النّعمان وهو يقول :

يسائلني النّعمان كي يسترلّني وهيهات لي أن أستضام فأصرعا
كفاني نقصاً أن أضيم عشيرتي بقـولٍ أرى في غيره متوسّعا

ومهما كان الغدر طريقاً إلى الثّراء، فإنّ حاتماً يتحرّج أن يكون ماله نتيجة لغدره، فذلك مال أنكد :

وَلا أَشتَري مالاً بِغَدرٍ عَلِمتُهُ أَلا كُلَّ مالٍ خالَطَ الغَدرُ أَنكَدُ

وتتجلّى بطولة حاتم في أسمى معانيها باهتمامه بأهله، كان وفيّاً معهم، يسعى إلى تفريج الكرب عنهم، وفي ذلك تعبير عن صدق ولائه لهم، وفي ذلك يقول :

ألا إنّني قد هاجني اللّيلة، الذِّكرْ وما ذاك مِنْ حُبّ النّساءِ ولا الأشَرْ
ولكِنّني، مّما أصابَ عشيرتي وقَومي بأقرانٍ، حَوالَيهِم الصُّبَرْ
فإنْ كانَ شَرٌّ، فالعَزاءُ فإنّنا على وَقَعاتِ الدّهر، من قبلِها، صُبُرْ
تذكّرتُ من وَهمٍ بن عمرو جلادةً وجُرْأةَ مَعداهُ، إذا نازِحٌ بكر
فأبْشِرْ، وقَرَّ العينَ منك فإنّني أجيءُ كَريماً، لا ضَعيفاً ولا حَصِرْ[117]

يدلّ ذلك على مدى حرصه على تأصيل تعاليم المدرسة الإنسانية، وتدعيمها بكلّ القيم والمبادئ، فهو يستغلّ مكانته وحسن سمعته من أجل رفع المعاناة عن قومه .

رُوي أنّه لما أطلق النّعمان الغسّاني بني عبد شمس إكراماً لحاتم بقي قيس بن جحدر بن ثعلبة، وهو من لخم، وأمّه من بني عديّ، فقال له النّعمان: أبقي أحد من أصحابك، فأنشد حاتم :

فككْتَ عَدِيّاً كلّها مِنْ إسارِهم فأفضِلْ، وشَفّعْني بقَيسِ بن جحدرِ
أبُوهُ أبي، والأمّهاتُ، أمّهاتُنا فأنعِمْ، فدتكَ النّفسُ، قومي ومعشري[118]

لاشكّ أنّ الرّجل صادق في أفعاله وأقواله، وفيّ لقومه حريص على رفع المعاناة عنهم، وفيّ لمن قدّم له يد العون، واثق من نفسه، قادر على ردّ الجميل، فعندما أطلق الحارث بن عمرو والد النّعمان من كان في أسرهم من رهط حاتم، خاطبه قائلا :

أبلغ الحارِثَ بنَ عَمْرٍو بأنّي حافِظُ الوُدّ، مُرْصِدٌ للصّوابِ
وجُيبٌ دُعــاءَهُ إنْ دَعـاني، عَجِلاً، واحِداً، وذا أصْحابِ [119]

هذه المعاني الإنسانيّة النبيلة الّتي آمن بها، وتعلّمها في مدرسة الأخلاق، نابعة من فطرته السّليمة، وربّما من تعاليم النّصرانيّة، فقد كان يفعل ذلك محافظة على حسبه ودينه، يقول :

وما مِنْ شيمتي شَتْمُ ابنِ عَمّي وما أنا مُخْلِفٌ مَنْ يَرْتجيني
نَظَـرْتُ بعينِـهِ، فكَفَفْتُ عَنْـهُ مُحافظةً على حسبي وديني [120]

وعندما أشرقت الأرض بنور ربها، وأصاب الإيمان شغف القلوب المفعمة بالإيمان بالقيم والمبادئ الّتي تربّى عليها العرب طبعاً وسجيةً، المترعة بالحبّ والخير والإنسانيّة، اكتسبت هذه القيم النّموذجيّة لاتّصالها بالإسلام؛ لأنّه منحها الامتداد والعمق؛ لأنّها موصولة بالكمال الإلهي المطلق .

ثالثاً : الصّفح : الصّفح صيغة من صفات الكرم، وركن من أركان الكرم .

كان حاتم صفوحاً، يغفر زلات قومه، استبقاءً لودهم، وحفاظاً على صداقتهم، فكم من مرّة صكّت سمعه كلمة قبيحة من شخص، فأعارها أذناً صمّاء؛ تنزيهاً لنفسه وتكريماً لها، بل كم من مرّة جرحت نفسه زلّة لسان إنسان فألقاها وراء ظهره، يقول :

تَحَمَّل عَنِ الأَدنَينَ وَاستَبقِ وُدَّهُم وَلَن تَستَطيعَ الحِلمَ حَتّى تَحَلَّما
مَتّى تَرقِ أَضغانَ العَشيرَةِ بِالأَنا وَكَفَّ الأَذى يُحسَم لَكَ الدّاءُ مَحسَما
وَعَوراءَ قَد أَعرَضتُ عَنها فَلَم يَضِر وَأَغفِـرُ وَذي أَوَدٍ قَوَّمتُهُ فَتَقَوَّما
عَوراءَ الكَريمِ اِدِّخـارَهُ وَأَصفَحُ مِن شَتمِ اللَئيمِ تَكَرُّما [121]

إنه يعفو ويغفر وينزه نفسه حفاظا على حسبه ودينه :

وَكِلمَةِ حاسِدٍ مِن غَيرِ جُرمٍ سَمِعتُ وَقُلتُ مُرّي فَانقِذيني
وَعابوها عَلَيَّ فَلَم تَعِبني وَلَم يَعرَق لَها يَوماً جَبيني
وَذي وَجهَينِ يَلقاني طَليقاً وَلَيسَ إِذا تَغَيَّبَ يَأتَسيني
نَظَـرتُ بِعَينِـهِ فَكَفَفتُ عَنـهُ مُحافَظَةً عَلى حَسَبي وَديني [122]

واتّسعت فروع مدرسته الإنسانيّة لتشمل العفو عن ابن العم، ونصرته ظالماً أو مظلوماً، وفي ذلك يقول:

وأغْفِرُ، إنْ زَلّتْ بمَوْلايَ نَعْلةٌ ولا خيرَ في المَوْلى ، إذا كان يُقرِف
سأنصُرُهُ، إن كان للحقّ تابعاً وإن جار لم يَكْثُرْ عليّ التعطّف
وإنْ ظَلَموهُ قُمْتُ بالسّيفِ دونَهُ لأنْصُرَهُ، إنّ الضّعيفَ يُؤنَّف [123]

وكان يعفو عن الكريم، ويترفّع عن شتم اللّئيم، ولا يظلم ابن العمّ، ولا يخذله، ولا يشتمه، ولا يتكبّر عليه عندما يكون غنياً، ولا يبتعد عنه إن كان فقيراً، يقول :

وأغْفِرُ، عوْراء الكريـــمِ ادّخارَهُ، وأصفحُ مِنّ شتمِ اللّئيمِ، تكرُّما
ولا أخذل المولى، وإن كان خاذِلا، ولا أشتمُ ابن العمّ، أن كانَ مُفحما
ولا زادّني عنهُ غنائي تَباعُداً وإن كان ذا نقصٍ من المالِ، مُصرِما [124]

ضرب مثلا رائعاً في الصفح، وكظم الغيظ عندما كان أسيرا في عنزة، فخرج الرّجال وخلّف مع النساء، فأتينه ببعير وطلبن منه فصده [أي قطع أحد العروق] إذن أطلقن يديه فوافق، فوجأ لبّة البعير فنحره، فصرخن به وقلن : إنما أردنا منك فصده لا نحره، فقال: هكذا فصدي، فلطمته إحداهن، فقال: " ما أنتن نساء عنزة بكرام، ولا ذوات أحلام " .

لقد كان قادراً على البطش بالمرأة، ولكنّه كظم غيظه وضبط نفسه، وعفا وصفح، لدرجة أنّ إحدى النّساء يقال لها عاجزة أعجبت به وأطلقته ولم ينقموا عليه ما فعل [125] .

أليس هذا ضرب من بطولة نفسية يسعى صاحبها إلى المثالية، والمحافظة على شخصيّة السّيّد الكريم؟

رابعاً : الصّدق

فضيلة من فضائل الكرم تحلّى بها حاتم، كان إذا حدّث صدق، وإذا وعد صدق في وعده، فالكريم حريص على سمعته، والإنسان رهن أعماله، وهو سَيُحمل على آلة حدباء ولا يبقى له إلا مآثره الحسان، يتوّجها صدق حديثه مع النّاس، يقول :

فَاِصدُق حَديثَكَ إنَّ المرءَ يَتبَعُهُ ما كانَ يَبني إذا ما نَعشُهُ حُمِلا [126]

وفضيلة الصّدق مرتبطة بذكر فضائل الكريم الأخرى من جود ووفاء وسعي في سبيل حميد الفعال:

أنا المقيد حاتم بن سعد أعطي الجزيل وأفي بالعهد
شيمتي البذل، وصدق الوعد وأشتري الحمد بفعل الحمد [127]

وافتخر بأنّ أصدقاءه فتيان صدق لا يحمل بعضهم لبعض حقداً، يقول :

وَفِتيانِ صِدقٍ لا ضَغائِنَ بَينَهُم إذا أَرمَلوا لَم يولَعوا بِالتَّلاوُمِ [128]

لذا كان حريصاً على مصاحبة الصّدوق، يسعى إليه لا يدعه :

تَبَعَّ اِبنَ عَمِّ الصِّدقِ حَيثُ لَقيتَهُ فَإِنَّ اِبنَ عَمِّ السَّوءِ إن سَرَّ يُخلَفُ [129]

تكشف صفة الصّدق شخصية سيّد كريم، يسعى إلى المثاليّة، ولا يخشى في الحقّ أحداً، وهو بذلك يُسجّل بطولة نفسيّة

تفصح عن قلب جرئ مفعم بالقوّة والشّجاعة، قوّة لا تقلّ عن شجاعة الأبطال في حومة الوغى، إذ تقلص الشّفتان عن وضح الفم .

خامساً : الإباء

حريّ بالكريم العفيف، الوفيّ، الصّادق، الصّفوح أن يكون أبيّ النّفس، منزّهاً عن المذلّة والهوان، هكذا كان حاتم، فالإنسان إذا لم يكرم نفسه بطرح ما يشينها، ستهون نفسه على النّاس، ولن يجد لها بينهم تقديراً وإكراماً، وفي ذلك يقول .

فنفسَكَ أكرِمْها، فإنّكَ إنْ تهنْ عليكَ فلن تُلفي لك الدّهر مُكرِما [130]

منع نفسه، وصانها أن تُذلّ لأحد واعتدّ بإبائه، ورفض أن يُسام سوء الخسف، أو أن يكون ضعيفاً مهاناً، وقطع على نفسه عهداً أن لا يرضى بالضّيم حتّى لو كان من قبل الملوك، يقول :

وَأَقسَمتُ لا أُعطي مَليكاً ظُلامَةً وَحَولي عَدِيٌّ كَهلُها وَغَريرُها [131]

أبت عزّة نفسه أن يتطاول عليه أحد من الملوك بمجرّد التهديد والوعيد :

أَمِ الهُلكُ أَدنى فَما إِن عَلِمتُ عَلَيَّ جُناحاً فَأَخشى الوَعيدا [132]

علامَ الرّضا بالظّلم والذّل والانتقاص، والحياة لا تدوم لأيّ أحد ؟ !، فالأولى بالمرء ألّا يخضع، ويرضى بالهوان، يقول:

فَهَل تَرَكَت قَبلي حُضورَ مَكانِها وَهَل مَن أَبى ضَيماً وَخَسفاً مُخَلَّدُ [133]

ولم ينحنِ أمام عواصف النّكبات، وسهام الدّهر المصيبة، فإذا ألمت به نازلة لم يتخشّع لها، ويرزح من ثقلها، فيندفع إلى أهله شاكياً مستضعفاً، كما قال :

وَلَستُ إِذا ما أَحدَثَ الدَّهرُ نَكبَةً بِأَخضَعَ وَلّاجٍ بُيوتَ الأَقارِبِ

ويتحلّى بالصّبر الجميل، ويتحمّل تعفّفاً وتكرّماً؛ حفاظاً على حياته، فما أجمل قوله :

إذا قلّ مالي أو نكبت بنكبة قنيت حيائي عفّة وتكرّما [134]

الخاتمة :

توصل البحث إلى نتائج منها :

1- اكتسب حاتم النّموذجيّة في مكارم الأخلاق من فطرته السّليمة، ومن أصوله الكريمة، ومن تعاليم دين سماوي تأثّر به، وربّما آمن به، قد يكون دين النّصرانيّة .

2- أحبّ مكارم الأخلاق، وآمن بها، ووقرت في قلبه، وصدّقها عمله، وتمسّك بها، ودافع عنها وبذل كلّ ما في وسعه من أجلها، وصولاً إلى نزعة إنسانيّة مثاليّة .

3- توافرت عناصر البطولة النفسيّة، والشّمائل الخُلقية عند حاتم ، إذ رسم لوحات تفيض بطولة ومروءة.

4- كشفت الشمائل الّتي ترجمها واقعاً ملموساً عن شخصية سيد كريم، صاحب قلب جريء مفعم بالقوّة والشّجاعة والمروءة، سعى إلى المثاليّة، ورفع المعاناة عن البائسين، والمحافظة على كرامة الأقربين وصولاً إلى سمعة طيّبة في الآخرين .

الهوامش :

[1] – ينظر، زلط، عبد الرحيم محمود : البطولة النّفسيّة والشّمائل الإنسانيّة، ص : 122 .
[2] – ينظر، راجح ، د. أحمد عزّت : أصول علم النّفس، ص : 93 .
[3] – ينظر، المرجع نفسه ، ص : 96 .
[4] – ينظر، المرجع نفسه، ص : 96 .
[5] – الأصفهاني: الأغاني 17 / 366 .
[6] – يُنظر، الكلبي: الأصنام، ص 8 . وطقوس ، أ. د. محمد سهيل : تاريخ العرب قبل الإسلام، ص 273 .
[7] – يُنظر، الكلبي: الأصنام، ص 17 .
[8] – طقوس ، أ. د. محمد سهيل : تاريخ العرب قبل الإسلام، ص 273 .
[9] – ديوان النّابغة، ص 165 .
[10] – يُنظر، الجبوري د. يحيى وهيب : الشّعر الجّاهليّ خصائصه وفنونه، ص 68 – 69 .
[11] – الألوسي: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب 2 / 197 .
[12] – الصدر نفسه، 2 / 197
[13] – الكلبي: الأصنام، ص 33 .
[14] – يُنظر، ابن هشام: السيرة النبوية 1 / 135 . والكلبي: الأصنام، ص 21 – 22 .
[15] – ابن كثير: تفسير القرآن العظيم 1 / 592 .
[16] – السّيوطي: تفسير الجلالين، ص 58 .
[17] – الزّاوي : الطاهر أحمد : مختار القاموس، ص 158 .
[18] – ابن سعد : طبقات ابن سعد 1 / 123 .
[19] – المصدر نفسه 3 / 287 .
[20] – ابن هشام: السّيرة النّبويّة 4 / 168 .
[21] – المصدر نفسه 4 / 177 .
[22] – يُنظر، لويس شيخو: شعراء النّصرانيّة قبل الإسلام 1 / 98 ، ذكر ابن قتيبة : " أنّ عدي بن حاتم كان نصرانياً " ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص 114 . وكان عدي سليم الفطرة " . يُنظر، الكلبي: الأصنام، ص 59 – 61 .
[23] – يُنظر، ديوان حاتم الطائي، ص 18 .
[24] – الأصفهاني : الأغاني 17 / 365 .

[25] – ابن كثير: البداية والنهاية 2 / 227 .

[26] – مسلم في كتاب الإيمان (214) وأحمد (24160)، ابن كثير: البداية والنهاية 2 / 227 .

[27] – ابن كثير: البداية والنهاية 2 / 230 . أبيات الملتمس، ديوان شعر المتلمس، مع اختلاف الرواية ، ص 172 – 173 ديوان شعر حاتم 264 – 265 .

[28] – ديوان حاتم، ص 82 .

[29] – ديوان حاتم، ص 76 . والمرزوقي: شرح ديوان الحماسة 4 / 16 – 17 .

[30] – ديوان حاتم، ص 34 .

[31] – يُنظر، المصدر نفسه ، ص 23 – 34، 64 – 66 .

[32] – المصدر نفسه ، ص 71 .

[33] – الأصفهاني: الأغاني 17 / 366، ابن قتيبة، الشعر والشعراء 1 / 241 .

[34] – ديوان حاتم، ص 23 .

[35] – مسند الإمام أحمد بن حنبل 4 / 258 .

[36] – رواه أحمد (17798) .

[37] – ابن كثير: البداية والنهاية 2/ 226 (حديث غريب)، قال الدّار قطني: " تفرّد به عبيد بن واقد عن أبي نصر الناجي".

[38] – ديوان حاتم، ص 42 .

[39] – المصدر نفسه ، ص 35 .

[40] – المصدر نفسه ، ص 31 .

[41] – أحمد رشاد: مقدمة ديوان حاتم، ص 6 .

[42] – الأصفهاني: الأغاني 17 / 364 .

[43] – ديوان حاتم ، ص : 36 .

[44] – المصدر نفسه ، ص :54 .

[45] – المصدر نفسه، 34 .

[46] – المصدر نفسه، ص : 61 .

[47] – ينظر الخبر، في الأغاني 17 / 366 .

[48] – ينظر، المصدر نفسه 17 / 366 .

[49] – ديوان حاتم : ص : 63 .

[50] – المصدر نفسه: ص 22 .

[51] – المصدر نفسه : ص 25 .

[52] – المصدر نفسه : ص 33 .

[53] – ديوانه : ص 92 .

[54] – ديوان شعر حاتم : ص 289 .

[55] – ديوان حاتم : ص 61 .
[56] – ديوان شعر حاتم : ص 268 .
[57] – الجاحظ: البيان والتّبيين 1 / 26- 27 .
[58] – ديوان حاتم، ص 49 .
[59] – المصدر نفسه، ص 23 .
[60] – المصدر نفسه ، ص 29 .
[61] – المصدر نفسه، ص 50 .
[62] – المصدر نفسه، ص 35 .
[63] – المصدر نفسه ، ص 54 .
[64] – المصدر نفسه ، ص : 36 .
[65] – ديوان حاتم، ص 35 .
[66] – يُنظر الخبر في الأصفهاني : الأغاني 17 / 379 – 389 .
[67] – ديوان حاتم، ص 42 .
[68] – المصدر نفسه ، ص 33 .
[69] – المصدر نفسه، ص 62 .
[70] – يُنظر، الأصفهاني: الأغاني 17 / 367 – 368 .
[71] – ديوان حاتم ، ص 67 .
[72] – المصدر نفسه ، ص 65 .
[73] – يُنظر، الأصفهاني: الأغاني 17 / 385 – 386 .
[74] – ديوان حاتم، ص 29 .
[75] – الأصفهاني: الأغاني 17 / 390 .
[76] – عمر الدّسوقي : الفتوّة عند العرب، ص 65 .
[77] – ديوان حاتم، ص 50 .
[78] – المصدر نفسه ، ص 33 .
[79] – المصدر نفسه ، ص 33 – 34 .
[80] – المصدر نفسه ، ص 23 .
[81] – المصدر نفسه ، ص 86 .
[82] – ديوان حاتم، ص 40 .
[83] – المصدر نفسه ، ص 61 .
[84] – المصدر نفسه ، ص 61
[85] – المصدر نفسه، ص 42، يُنظر باقي القصيدة، ص 42 – 43 .

[86] –المصدر نفسه، 65 .
[87] – المصدر نفسه، 33 .
[88] – يُنظر، الشّريف، د. عون قاسم : شعر البصرة في العصر الأموي، ص 243
[89] – يُنظر، د. النويهي ، د. محمد : الشّعر الجاهليّ منهج في دراسته وتقويمه 1 / 224 – 241 .
[90] – يُنظر، جمال، د. عادل سليمان : ديوان شعر حاتم بن عبدالله الطّائي وأخباره، ص 83- 84 .
[91] – د. القيسي ، نوري : الفروسيّة في الشعر الجاهليّ، ص 292 .
[92] – ديوان حاتم، ص 43 .
[93] – يُنظر ، ابن منظور : لسان العرب 9 / 253
[94] – ابن حزم : الأخلاق والسّير ، ص 30 – 31 .
[95] – ديوان حاتم، ص 44 .
[96] – المصدر نفسه، ص 24 .
[97] – المصدر نفسه ، ص 22 .
[98] – المصدر نقسه ، ص 54 .
[99] – المصدر نفسه، ص 86 .
[100] – المصدر نفسه، ص 68 .
[101] – المصدر نفسه، ص 29 .
[102] – يُنظر، ابن مسكويه : تهذيب الأخلاق، ص 20 – 21
[103] – ديوان شعر حاتم ، ص 104 .
[104] – ديوان حاتم ، ص 23 .
[105] – المصدر نفسه، ص 71 .
[106] – المصدر نفسه، ص 72 .
[107] – المصدر نفسه، ص 82 .
[108] – يُنظر، ابن مسكويه : تهذيب الأخلاق ، ص 21 – 22 .
[109] – ديوان حاتم، ص 59 .
[110] – المصدر نقسه ، ص 61 .
[111] – المصدر نفسه ، ص 76 .
[112] – زلط ، د ، عبد الرّحيم محمود : البطولة في الشّعر الجاهليّ ، ص 132.
[113] – ديوان حاتم، ص 29 .
[114] – المصدر نقسه ، ص 66 .
[115] – المصدر نقسه ، ص 38 .
[116] – ابن قتيبة، عيون الأخبار (276) طبع دار الكتب، القاهرة 2 / 23 .

117 – يُنظر، ديوان حاتم، ص 48، وأبيات أخرى ص 59 – 60، والأغاني 17 / 375 – 376 .
118 – يُنظر، ديوان حاتم، ص 49 .
119 – المصدر نفسه ، ص 21 ، والأصفهاني: الأغاني 17 / 377 .
120 – المصدر نفسه ، ص 82 .
121 – المصدر نفسه ، ص 71 – 72 .
122 – المصدر نفسه ، ص 82 .
123 – ديوان حاتم ، ص 62 .
124 – المصدر نفسه، ص 72 .
125 – يُنظر، الأصفهاني: الأغاني، 17 / 387
126 – ديوان حاتم، ص 65 .
127 – المصدر نفسه ، ص 66 .
128 – المصدر نفسه ، ص 74 .
129 – المصدر نفسه ، ص 61 .
130 – المصدر نفسه، ص 71 .
131 – المصدر نفسه ، ص 55 .
132 – المصدر نفسه ، ص 32 .
133 – المصدر نفسه ، ص 28 .
134 – المصدر نفسه ، ص 97 .

المصادر والمراجع :

- **القرآن الكريم** (المصحف الرّقمي).

1. الأصفهاني: أبو الفرج عليّ بن الحسن، 1412هـ – 1992م، الأغاني، ج17، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط2.
2. الألوسي : السّيّد محمود شكري ، 2012م ، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، دار الكتاب المصري .
3. الجّاحظ : أبو عثمان بن عمر (ب ت) البيان والتّبيين، المكتبة التّجاريّة الكبرى ،دار الفكر، بيروت لبنان.
4. الجبوري: د . يحي وهيب ، 1993م الشّعر الجاهليّ خصائصه وفنونه ، منشورات جامعة قاريونس بنغازي ، ط 6،
5. ابن حزم : أبو محمّد علي بن حزم الأندلسي الظّاهري 1961 م، الأخلاق والسّير، اللجنة الدّولية لترجمة الرّوائع، بيروت.
6. ابن حنبل ، أحمد، (ب. ت) مسند الإمام أحمد، المكتب الإعلامي للطّباعة والنّشر، دار صادر للطّباعة والنّشر بيروت.
7. راجح : د. أحمد عون ، 1969م ، دار الكاتب العربي للطّباعة والنّشر ، القاهرة ، ط7 .
8. الزّاوي : الطّاهر أحمد، 1984م، مختار القاموس ، الدّار العربيّة للكتاب .
9. زكي : د. أحمد كمال (ب. ت)، الحياة الأدبيّة في البصرة إلى نهاية القرن الثّاني الهجري، دار المعارف بمصر
10. الدّسوقي : عمر، 1959م، الفتوة عن العرب ، مكتبة دار نهضة مصر بالفجالة ، مصر، ط3 .
11. ابن سعد : محمّد بن سعد بن منيع الزّهري، (ب. ت) ، الطّبقات الكبرى، طبعة دار صادر بيروت .
12. السّيوطي ، جلال الدّين عبد الرّحمن ،1425هـ – 2004م، تفسير الجّلالين، مكتبة الصّفا ، القاهرة .
13. الشّريف : د. عون القاسم 1392 هـ - 1972 م شعر البصرة في العصر الأموي دراسة في السّياسة والاجتماع ، دار الثّقافة بيروت لبنان.

14.شيخو : لويس، 1980م ، شعراء النّصرانيّة قبل الإسلام ج1 ، (شعراء الجاهليّة) ، بيروت .

15. الطّائي : حاتم بن عبد الله بن سعد (ت 578 م) 1406هـ – 1986م، ديوانه، دار ومكتبة الهلال، بيروت ، ط2.

16.الطّائي : حاتم (ب. ت.) ديوان شعر حاتم بن عبد الله الطّائي وأخباره، صنعة يحي بن مدرك الطّائي، رواية هشام بن محمّد الكلبي، دراسة وتحقيق: عادل سليمان جمال ، مطبعة المدني، العباسيّة، القاهرة .

17.طقوس : أ. د. محمّد سهيل 1930هـ – 2009م، تاريخ العرب قبل الإسلام ، دار النّفائس ، ط1.

18.المتلمّس الضّبعي، 1390هـ – 1970م ، ديوانه ، عُني بتحقيقه وشرحه والتّعليق عليه حسن كامل الصّيرفي معهد المخطوطات العربيّة ، جامعة الدّول العربيّة .

19.المرزوقي : أبو عليّ أحمد، 1424هـ - 2002م، شرح ديوان الحماسة ، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان .

20.مسلم : الإمام الحافظ أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، 2006م، صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، دار طيبة للنّشر والتّوزيع ، الرّياض .

21.ابن مسكويه : أبو علي أحمد، 1401هـ - 1981 م، تهذيب الأخلاق في التّربية، دار الكتب العلميّة ، بيروت لبنان .

22.ابن قتيبة : أبو محمّد عبد الله بن مسلم الدّنيوي، 1377هـ- 1958م، الشّعر والشّعراء، تحقيق وشرح أحمد محمّد شاكر، دار المعارف .

23.القيسي : د. نوري حمّودي، 1384 هـ - 1964 م، الفروسيّة في الشّعر الجاهلي، منشورات مكتبة النّهضة بغداد، ط1.

24.ابن كثير: الحافظ بن كثير الدمشقي1427هـ – 2006م البداية والنّهاية، ج2 ، تحقيق أحمد جاد، دار الحديث، القاهرة.

25.الكلبي: أبو المنذر هشام بن محمّد السّائب 1995م، الأصنام، ط3، مطبعة دار الكتب المصريّة بالقاهرة.

26.الكلبي، 1988م، نسب معن واليمن الكبير، تحقيق : ناجي حسن ، مطبعة عالم الكتب ، بيروت.

27.المتلمّس الضّبعي: جرير بن عبد المسيح، 1390هـ – 1970م، ديوان شعر المتلمّس الضّبعي، عُني بتحقيقه وشرحه والتّعليق عليه حسن كامل الصّيرفي، القاهرة .

28.ابن منظور : جمال الدّين محمّد بن مُكرَّم الأنصاري (د. ت) ، لسان العرب، طبعة مصوّرة عن طبعة بولاق، المؤسّسة المصريّة العامّة للتّأليف والأنباء والنّشر، الدّار المصريّة للتّأليف والتّرجمة .

29.النّابغة الذّبياني: زياد بن معاوية بن ضباب، 1998م، ديوانه، تحقيق د. شكري فيصل، دار الفكر، بيروت.

30. النُّويهي: د. محمّد (ب. ت) الشّعر الجاهليّ منهج في دراسته وتقويمه، الدّار القوميّة للطّباعة والنّشر ، القاهرة.

31.ابن هشام : عبد الملك الحميري 1423هـ - 2002م، السّيرة النّبويّة، تحقيق كامل محمّد عويضة، دار العنان بالقاهرة، ط4.

الدوريات :

1. زلط : عبد الرحيم محمود ، البطولة النّفسيّة والشّمائل الإنسانيّة في الشّعر الجاهليّ ، مجلّة الدّارة العدد 3 ربيع الثّاني 1404هـ – يناير 1984م ، مكتبة الملك فهد الوطنيّة .